تصدير

مَنْ سيبويه؟

سيبويه (١٤٨ ـ ١٨٠هـ / ٧٦٥ ـ ٧٩٦م) هو عمرو ابن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، إمام النحاة وأول من بسّط علم النحو، وقد أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب والأخفش، وهو من أسرة فارسية، إذ ولد في قرية البيضاء بشيراز، ورحلت أسرته إلى البصرة التي نشأ فيها، ومعنى سيبويه رائحة التفاح، حيث اعتاد شمّ التفاح، ويقال: إن أمه كانت تهدهده وتُرقّصه صغيرًا، وهي تقول له: سيبويه.

وقد اتجه سيبويه في بداية طلبه العلم إلى دراسة الفقه والحديث، فإذا بحمّاد بن سلمة البصري يُخطّئه، فاتجه إلى تعلم النحو، وأصبح فيه الفارس المجلّى والنجم المُبرّز، وها هي ذي واقعته مع حمّاد: رُوِي أن سيبويه قصد مجلس حمّاد بن سلمة الذي كان يستملي عليه سيبويه حديثًا جاء فيه، قال ﷺ: «**ليس من أصحابي أحدٌ إلا لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء**»[1].

فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء ـ ظنّه اسم ليس ـ فصاح به حمّاد: لحنت يا سيبويه (أي أخطأت) ليس هذا حيث ذهبت، إنما هو استثناء، فقال سيبويه: لا جَرَمَ، والله لأطلبنّ علمًا لا تُلَحِّنَنِّي فيه أبدًا (أي لا تخطّئني).

من أقوال العلماء عنه:

- قال عنه ابن عائشة: «كنا نجلس مع سيبويه النحوي في المسجد، وكان شابًّا... قد تعلق من كل أدب بسبب، وضرب في كل علم بسهم، مع حداثة سنه وبراعته في النحو»[2].

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (رقم ١٢١٢).
(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٩، ص ٥٤.

• وقال الذهبي: «إمام النحو، حجة العرب، الفارسي، ثم البصري. قد طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل عصره، وألف فيها كتابه الكبير الذي لا يدرك شأوه فيه. قيل فيه مع فرط ذكائه حبسة في عبارته، وانطلاق في قلمه»[١].

• وقال ابن كثير: «وقد صنّف في النحو كتابًا لا يلحق شأوه وشرحه أئمة النحاة بعده، فانغمروا في لجج بحره، واستخرجوا من دره، ولم يبلغوا إلى قعره»[٢].

• وقال أبو إسحاق الزّجّاج: «إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة»[٣].

• وقال الجاحظ عن الكتاب لسيبويه: «لم يكتب الناس في النحو كتابًا مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال»[٤].

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٣٥١.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص١٨٩.

(٣) القفطي: أنباه الرواة عن أنباه النحاة، ج ٢، ص ٣٥٨.

(٤) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٧، ص ٨٦.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، أما بعد، فإنني منذ أن ارتبطت باللغة العربية الخالدة بسبب، بل بأسباب، يصحبني يقين لا يفارقني، وإيمان لا يغادرني بقدرة هذه اللغة العجيبة على عبقرية التعبير وبراعة التصوير، فهي معشوقة لا تعاصي عاشقها، ولا تناوئ محبها، إذ تترقرق سيّالة سلسالة، رخية بهية في موطن يستوجب ذلك، وتزمجر هادرة مائجة، ثائرة فائرة في موضع يستلزم ذاك؛ لذا فقد قال أحدهم فيها: (ليس على وجه الأرض لغة لها من الروعة والعظمة ما للغة العربية، ولكن ليس على وجه الأرض أمة تسعى بوعي، أو بلا وعي لتدمير لغتها كالأمة العربية!)[1].

ومن هنا، فإن إصلاح اللغة، أي لغة مما يشوبها من أخطاء شائعة وأغلاط ذائعة، مطلب عزيز وهدف نبيل تنبّه إليه كثيرون، وسعوا إليه، حتى إن كونفوشيوس منذ ٢٥٠٠ سنة تقريبًا، حين سئل: ماذا تفعل لو ولّيت الحكم؟ فأجاب: لو أتيح لي أن أحكم لبدأت بإصلاح اللغة، وذلك الأمر شغل أيضًا أحد أعضاء مجلس النواب الأمريكي (الكونجرس) حديثًا، حين تساءل ممرورًا: (إننا نضع القوانين لمعاقبة المجرمين الذين يسرقون ويقتلون، فلماذا لا نضع القوانين لمعاقبة الذين يفسدون اللغة؟!).

ويشتدّ أحد أدبائنا في نكيره وتقريعه للمثقفين العرب الذين لم يتقنوا لغتهم، فتحفل بالأخطاء البلقاء، حتى إنه يطعن في رجولتهم، إذ يقول: (إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا معرفة لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضًا)[2].

---

(١) سعيد، محمود شاكر. تصويبات لغوية، الرياض، ط١، دار المعراج الدولية للنشر، ١٩٩٤م، ص٥.

(٢) الحسيني، مكي. نحو إتقان الكتابة باللغةالعربية، حلقات تصدرها مجلة جامعة دمشق، ص١.

واقع الأمر، إن أدران ما شاع من أخطاء في إهاب اللغة العربية الناصع بدأ يدق أجراس الخطر، ويمثل ظاهرة منذ مبدأ الفتوحات الإسلامية وتوزُّع العرب في الأمصار، فاختلط بهم العجم، وتسرب الخلل والخطأ شيئًا فشيئًا إلى النطق والإعراب والتراكيب والإملاء والصياغة والأسلوب والضبط والاشتقاق و... وترسخت تلك الأخطاء، وتعددت في عصرنا الحديث في الأذهان، وجرت على الألسنة، حتى غدت قواعد لا تقبل الاقتراب منها، فضلاً على مناقشتها وبيان جليّة الأمر فيها، وما رسَّخ لهذه الأخطاء، وقعّد لها وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة، فقد أتاحت لكثيرين منابر يهرفون من خلالها بما لا يعرفون، وذلك في جو إن لم تكن فيه الرقابة اللغوية معدومة، فهي هزيلة ومجرد زينة، وفي واقع تُرِك فيه ضبط الكلمات الملبسة، فأخذ الناس يقرؤونها، كلٌّ بما يحلو له، وفي عدم وجود معجم شافٍ كافٍ يروي غُلّة الناس اللغوية، ويقف على أمر الأسلوب والصياغة، فيُوليها الرعاية اللازمة، وها هي اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها، في وسط هذا الوضع المُتردّي من أخطاء لغوية صارخة وكتابة إنجليزية زاعقة على لافتات المحالّ التجارية وفي الصحف اليومية:

أَرَى كُلَّ يَومٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا ... مِنَ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أَنَاةِ
وَأَسْمَعُ لِلْكُتَّابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً ... فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي
أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي عَفَا اللهُ عَنْهُمُ ... إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُوَاةِ
سَرَتْ لَوْثَةُ الأَعْجَامِ فِيهَا كَمَا سَرَى ... لُعَابُ الأَفَاعِي فِي مَسِيْلِ فُرَاتِ
فَجَاءَتْ كَثَوبٍ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً ... مُشَكَّلَةَ الأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتِ

وإن ما تعلق بأذيال اللغة العربية من أخطاء شائعة - وعايشته عن كثب قرابة عقد من الزمان في العمل محررًا ومصححًا بشركة العبيكان للنشر - تنبّه إليه علماؤنا القدامى - جزاهم الله خيرًا - فدبّجت أقلامهم فيها كتبًا ومخطوطات، نافحوا من خلالها عن اللغة العربية؛ رغبة منهم في صونها وحِسْبة لله في الذود عن لغة القرآن

الكريم: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩) فهناك (لحن العامة) للكسائي (١٨٩هـ)، و(إصلاح المنطق) لابن السكيت (٢٢٤هـ) و(أدب الكاتب) لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، و(لحن العامة) للزبيدي (٣٧٩هـ) و(تثقيف اللسان) لابن مكي (٥٠١هـ) و(تقويم اللسان) لابن الجوزي (٥٩٧هـ)، و(درة الغواص في لحن الخواص) للحريري (٥٩٧هـ).

حقيقةً، إن عجبي لا ينتهي من أناس يرون أن محاربة الأخطاء الشائعة أمر غير ذي بال، بل يحاولون إقرار هذه الأخطاء وإيجاد المعاذير لها؛ بحجة: (إن الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور)، في حين إن هؤلاء أنفسهم، عندما يسمعون قائلاً أو يرون كاتبًا يصدر عنهما باللغة الإنجليزية: (He go...) فإنهم يُقيمون الدنيا، ولا يقعدونها بأن الضمائر (He / She/ It) حين تتصل بالفعل المضارع، لا بد أن ينتهي الفعل بـ (s أو es) فيُقرّون بأن للغة الإنجليزية قواعد يجب أن تراعى، وأخطاء شائعة يجب أن تحارب، وعندما تطلب منهم مراعاة قواعد اللغة العربية في الكتابة والحديث، وتجنب الأخطاء الشائعة، فإنهم يغضُّون الطرف، ويتحججون بحجج واهية لا تصمد أمام النقاش العلمي الجاد.

ولما كانت الأخطاء الشائعة في اللغة العربية قضية قابلة للأخذ والرد، إذ يصدر طرف حكمًا بخطأ طائفة من الكلمات والتراكيب، ولكن يأتي طرف آخر، فينتصر لصحة ذلك، ومعه أدلته وحججه، فإنها تظل قضية اجتهادية تقبل الرأي والرأي الآخر، وبناء عليه، فإننا لا نتوقع من كل من يطالع هذا الكتاب أن يسلّم له بكل ما ورد فيه من أحكام تخطئة في حق جملة من الكلمات والتراكيب، وفي الوقت نفسه، فإنه لا يجرؤ على عدم التسليم بتخطئة كثير منها؛ نظرًا لقوة أسباب تخطئتها؛ لذا لا يخرج رد فعل من يطالع هذا الكتاب عن ثلاثة أحوال: فإما التسليم بما جاء من تخطئة في حق تلك الكلمات والتراكيب، وذلك الأعم الأغلب، وإما السكوت عنها، فلا تسليم ولا اعتراض، وإما أن يرفع أحدهم عقيرته بأن الحكم بالتخطئة خطأ، والتعبير صواب ولا غبار عليه، وذلك من وجهة نظره، ولا حجر على وجهة نظر أو رأي، فحسبي أني

لم آلُ جهدًا في تجلية الصواب والخطأ في كل ما وقفت عليه من أخطاء شائعة علقت بأثواب لغتنا العربية الخالدة: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٥) والكمال لله ﷻ، ولما كان الأمر كذلك، فقد أفردنا مساحة للقارئ يعلق فيها بما يراه، وما كان من توفيق وسداد فمن الله، وما كان من خطأ فمني، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وإن أنسَ، فليس لي أن أنسى في هذه العجالة أن أخص بالذكر والشكر زملاء لي في شركتنا، شركة العبيكان للنشر، أسهموا بحظ وافر ونصيب صائب في خروج هذا الكتاب للنور، فلهم مني الشكر والمنة، وهم:

- **الأستاذ/ محمد بن عبدالله الفريح** مدير إدارة النشر والترجمة.
- **الدكتور/ أحمد البراء عمر الأميري** المستشار الثقافي لإدارة النشر.
- **الأستاذ/ عارف عبدالرحمن عطية** نائب مدير إدارة النشر والترجمة.
- **الأستاذ/ محمود عبود الصالح** رئيس القسم الفني.
- **الأستاذ/ سارية حسن الخطيب** رئيس النشر التجاري.
- **الشيخ/ إبراهيم يوسف نصير (رحمه الله)** محرر بإدارة النشر سابقًا.
- **الشيخ/ صبري سلامة سلامة شاهين** محرر بإدارة النشر.
- **الأستاذ/ خالد أحمد محمد البحيري** مخرج كتب بإدارة النشر.
- **الأستاذ/ محمد راغب مهاود** مخرج كتب بإدارة النشر.
- **الأستاذ/ هلال الشيخ أيوب** مخرج كتب بإدارة النشر.
- **الأستاذ/ عبدالله علي الضوراني** مصمم بإدارة العبيكان للتعليم.
- **الأستاذ/ محمد فياض الرختوان** مصمم بإدارة النشر.
- **الأستاذ/ هاني محمد الشيشيني** مصمم بإدارة النشر.
- **الأستاذ/ جابر فرحان العنزي** ممثل العلاقات العامة.
- **الأستاذ/ ضيف الله ذائب العتيبي** ممثل العلاقات العامة.
- **الأستاذ/ حذيفة عباس الحسن** اختصاصي إدارة النظم.